متأخرة، فضلاً عن الكتب المعاصرة، وكـان ذلـك لأن فقهـاء العصـر الـذى نتكلم عنه لم يعتبروا أنفسهـم ملزمين بذكر الأحاديث الكثيرة الـتى عرفوهـا ولو كانت مؤيدة لآرائهم، هذا فضلاً عن الأحاديث التى لم يحيطـوا بهـا علمـاً كمـا سـبق، **فهـذا كلـه يضـع اسـتدلال شـاخت موضـع شـكوك خطيرة،ويبطل قاعـدته الـتى علـى أساسـها كـان تشـكيكه فـى الأحاديث والوثوق بها بصفة عامة**

وحتى يظهر بطلان قاعدة شاخت قام الدكتور ظفر بعقد مقارنة لطائفة من الآراء الفقهية لبعض فقهاء القرن الثانى الهجرى، وذلك من خلال مقارنة "موطأ الإمام مالك" برواية (يحيى الليثى)[1] ورواية (الشيبانى)[2] حيث أن عدداً كبيراً من الأحاديث الموجودة بموطأ مالك برواية يحيى الليثى، ولا توجد بموطأ رواية الشيبانى 0 على الرغم من أن الشيبانى كان الأصغر سناً، وتأخر عهده عن الإمام مالك 0 والأعجب من ذلك أننا نرى أحياناً أن بعض أحاديث الموطأ للإمام مالك التى تؤيد آراء مذهب الإمام الشيبانى، لا توجد فى موطأ الشيبانى أصلاً0

وهذا مثالاً لتأكيد ما قلناه : يشتمل باب أوقات الصلاة فى الموطأ برواية يحيى الليثى على ثلاثين حديثاً[3]،بينما لا نجد منها فى موطأ مالك برواية الشيبانى[4] إلا أربعة أحاديث"[5]0

---

1 () يحيى الليثى هو : يحيى بن يحيى بن كثير الليثى مولاهم القرطبى، أبو محمد، صدوق فقيه، قليل الحديث ، وله أوهام مات سنة 234هـ، على الصحيح 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 2/318 رقم 7697،وتـهذيب التهذيب 11/300 رقم 580، وسير أعلام النبلاء 10/519 رقم 168، وشذرات الذهب 2/82، والديباج المذهب ص 431 رقم 608

2 () الشيبانى : هو محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، قال فى الميزان : لينه النسائى وغيره من قبل حفظه 0 وقال ابن عدى لم تكن له عناية بالحديث، وقد استغنى أهل الحديث عن تخريج حديثه وكان من بحور العلم قوياً فى مالك 0 له ترجمة فى : سير أعلام النبلاء 9/134 رقم 45، ولسان الميزان 5/121 رقم 410، ووفيات الأعيان 4/184 رقم 567، وشذرات الذهب 1/321، والمجروحين لابن حبان 2/275، والجرح والتعديل 7/227 رقم 1253 0

3 () انظر : الموطأ برواية يحيى الليثى 1/37 وما بعدها 0

4 () انظر : الموطأ برواية الشيبانى ص 31 وما بعدها 0

5 () انظر : مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة 2/587 - 595، وانظر: توثيق الأحاديث النبوية (نقد قاعدة شاخت، للدكتور ظفر ترجمة الأستاذ جمال محمد نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/694 - 706 0 ومزيد من الرد على شاخت فى كتابه أصول الفقه المحمدى، انظر : دراسات فى الحديث النبوى للدكتور الأعظمى 2/440 - 456 0

وهكذا مرت السنة النبوية منذ عهد النبوة المباركة بمراحل ثلاث حـتى ظهور المصنفات الحديثية : 1-الكتابة 2-التدوين 3-التصنيف 0

وفى ذلك يقول العلامة فؤاد سزكين فى "تاريخ التراث العربى" يقول : "فقد مرت مكتبة الحديث بالمراحل التالية :

أ- كتابة الأحاديث : وقد سجلت الأحاديث فى هذه المرحلة فى كراريس الواحد منها له اسم الصحيفة أو الجزء، وتمت هذه المرحلة فى عصر النبوة والصحابة وأوائل التابعين 0

ب- تدوين الحديث : وفى هذه المرحلة ضمنت التسجيلات المتفرقة، وتم هذا فى الربع الأخير من القرن الأول للهجرة، والربع الأول من القرن الثانى 0

ج- تصنيف الحديث : وقد رتبت الأحاديث فى هذه المرحلة وفق مضمونها، في فصول وأبواب، وبدأ هذا مع الربع الثانى من القرن الثانى، واستمر إلى أن ظهرت فى أواخر القرن الثانى للهجرة طرق أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء صحابة رسول الله فى كتب يحمل الواحد منها اسم المسند"[1] أهـ 0

حتى إذا أطل علينا القرن الثالث الهجرى كانت السنة النبوية قد استقرت فى بطون الكتب المعروفة لدينا الآن وعلى رأسها الكتب الستة[2]ومسند الإمام أحمد،ومن أجل هذا، ولأنه العصر الذىتميز فيه صحيح السنة من ضعيفها اعتبره العلماء العصر الذهبللسنة المطهرة[3]

---

1 () تاريخ التراث العربى المجلد 1/119، وانظر : السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى ص 160 – 195، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته للدكتور رفعت فوزى ص 23- 71 0

2 () الكتب الستة هى صحيحا البخارى ومسلم، وسنن كل من : الترمذى، والنسائى، وأبو داود، وابن ماجة وهناك غيرها كثير صدر فى القرن الثالث الهجرى وفيما بعده من القرون مثل سنن الدارمى، والدارقطنى، وصحيح ابن حبان، وابن خزيمة، ومصنف ابن أبى شيبة، وسنن سعيد بن منصور، وسنن البيهقى، وغيرها كثير وكثير 0 انظر : الرسالة المستطرفة للكتانى ص 10-62، وفى رحاب السنة الكتب الصحاح الستة لدكتور محمد أبو شهبة ص 25-28 0

3 () انظر : لمحة عابرة عن التدوين فى القرنين الثانى والثالث بعبارة موجزة للحافظ ابن حجر فى هدى السارى ص 8-9، والحديث والمحدثون للدكتور محمد أبو زهو ص 316 - 420، وعلوم الحديث للدكتور مروان شاهين ص 67-90 0 وانظر : مقارنة بين الأسس التى تم بموجبها جمع وتدوين السنة النبوية ومقارنة ذلك بطرق وجمع وتدوين الأناجيل فى منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزية على طه ص 480 - 493

هذا ولم يكن تدوين السنة قائماً على المكتوب فقط وإنما كان قائماً جنباً إلى جنب بجانب المحفوظ فى الصدور، فالعبرة عند المحدثين بالعدالة، والضبط وهو نوعان :

1- ضبط صدر وهو : أن يحفظ الراوى ما سمعه ويثبت منه ويعيه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء إن حدَّث حفظاً0

2- ضبط كتاب وهو:أن يصون الراوى كتابه من أن يتطرق إليه خلل من حين كتابته أو سماعه إلى أن يؤدى منه ولا يدفعه إلى من يمكن أن يغير فيه إن كان منه يروى[1] **وعلى هذين النوعين كان تبليغ سنة النبى على مر العصور، وبالحفظ أكثر فى القرون الأولى[2]0 كما أن الحفظ أقوى من الكتابة لبعده عن التصحيف والغلط، ومن هنا فهو مرجح على المكتوب إذا تعارض حديث مسموع وحديث مكتوب 0**

قال الآمدى : "وأما ما يعود إلى المروى فترجيحات الأول : أن تكون رواية أحد الخبرين عن سماع من النبى والرواية الأخرى عن كتاب 0فرواية السماع أولى:لبعدها عن تطرق التصحيف والغلط"[3]0

ويدل على أن الكتابة دون الحفظ قوة ما هو مقرر عند أهل الحديث والأصول أن أعلى وجوه الأخذ من الشيخ سماع لفظه، واتفاقهم على صحة رواية الحديث بالسماع[4]،

0

1 () توضيح الأفكار 2/119-120، وتدريب الراوى 1/301، وفتح المغيث للسخاوى 1/314، وانظر : مقاصد الحديث فى القديم والحديث لفضيلة الدكتور مصطفى التازى 2/64، واختلافات المحدثين والفقهاء فى الحكم على الحديث للدكتور عبد الله شعبان ص 397-409 0

2 () انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى مبحث (الكتابة ليست من لوازم الحجية والكتابة لا تفيد القطع ص 399-402، والمكانة العلمية لعبد الرزاق بن همام فى الحديث النبوى لفضيلة الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار مبحث "الكتابة ليست أوثق من الحفظ القلبى إذا توافرت دواعيه 1/239، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 2332 لسنة 1396هـ 1976م 0

3 () الإحكام للآمدى 4/215، وانظر : الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ للحازمى ص 64 0

4 () تدريب الراوى 2/8، وفتح المغيث للسخاوى 2/20، وتوضيح الأفكار 2/295 0

واختلافهم فى صحة الرواية بطريق المناولة أو المكاتبة 0 مع ترجيح تصحيحهما[1]0

وفوق كل هذا دلالة على قوة الحفظ فى المكانة عن الكتابة أن الاعتماد فى نقل القرآن الكريم والقطع به، إنما حصل على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب 0 فالحفظ وحده كان الاعتماد عليه فى نقل القرآن الكريم فى عهد النبى ، وعمر وسنين من عهد عثمان، لأن تلك القطع التى كتب فيها القرآن فى عهد النبى كانت مفرقة عند بعض الصحابة لا يعرفها إلا من هى عنده، وسائر الناس غيره يعتمدون على حفظهم 0 ثم لما جمعت فى عهد أبى بكر لم تنشر هى ولا الصحف التى كتبت عنها، بل بقيت عند أبى بكر، ثم عند عمر، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين حتى طلبها عثمان، ثم اعتمد عليه فى عامة المواضع التى يحتمل فيها الرسم وجهين أو أكثر، واستمر الاعتماد عليه حتى استقر تدوين القراءات الصحيحة"[2]، وكان الاعتماد عليها وعلى نقل القرآن بالحفظ 0

يقول المحقق ابن الجزرى : [3] **"ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب 0 وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة،** ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن النبى **قال : "إن ربى قال لى قم فى قريش فأنذرهم، فقلت له : أى رب إذن يَثْلَغُوا رَأسى حتى يدعوه خُبْزَةً فقال : إنى بمتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماء، تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيْقَظانَ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك"**[4]0 فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ فى كل حال كما جاء فى صفة أمته : **"أنا جيلهم صدورهم"**0 وذلك

---

1 () تدريب الراوى 2/44-58، وفتح المغيث للسخاوى 2/100 - 127، وتوضيح الأفكار 2/329 - 343، وإرشاد الفحول 1/252، 253 0

2 () الأنوار الكاشفة عبد الرحمن المعلمى ص 77 0

3 () ابن الجزرى هو:محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى، أبو الخير، كان إماماً فى القراءات لا نظير له، حافظاً للحديث وغيره أتقن منه، ولى قضاء الشام وشيراز، من مؤلفاته : النشر فى القراءات العشر، وطبقات القراء، وغير ذلك مات سنة 833هـ 0 له ترجمة فى : طبقات الحفاظ للسيوطى ص 549 رقم 1183، والدرر الكامنة لابن حجر 3/395، وطبقات المفسرين للداودى 2/64 رقم 430، وشذرات الذهب 7/204، والبدر الطالع للشوكانى 2/257 0

4 () مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة، باب الصفات التى يعرف بـها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار 9/214 رقم 2865 0

بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب"[1]0

ويقول الشيخ محمد الزرقانى -رحمه الله- : "قلنا غير مرة إن المعوَّل عليه فى القرآن الكريم إنما هو التلقى والأخذ، ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام إلى النبى ، وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هى العمدة فى هذا الباب، إنما هى مرجع جامع للمسلمين، علـى
كتاب ربهم، ولكن فى حدود ما تدل عليه وتعينه، دون ما لا تدل عليه ولا تعينه 0 وقد عرفت أن المصاحف لم تكن منقوطة، ولا مشكولة، وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه فى مصحف، ثم كتبت فى مصحف آخر بوجه آخر وهلم جراً0

فلا غرو أن كان التعويل على الرواية والتلقى هو العمدة فى باب القراءة والقرآن[2]

نقول : كل هذا رداً على من يشككون فى تدوين السنة على المحفوظ فى الصدور بحجة أن الحفظ خوان[3]، وقوة حفظ الحفاظ خرافة[4]، لأن الحفظ وإن كان خوان وضعيف عندهم وعند أهل العصور المتأخرة فى زماننا فلا يصح هذا القول فى عرب العصور الأولى الذين كان جُّل اعتمادهم فى تواريخهم وأخبارهم وسائر أحوالهم على الحفظ[5]0

وازداد عندهم هذا الأمر بعد دخولهم فى الإسلام، وقيضهم الله لحفظ الشرع وصيانته وحمله وتبليغه لمن بعدهم[6]0

---

1 () النشر فى القراءات العشر 1/6، وانظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 407، ومناهل العرفان للشيخ الزرقانى 1/243 0

2 () مناهل العرفان للزرقانى 1/411 0

3 () أضواء على السنة ص 268 0

4 () دراسات محمدية ترجمة الأستاذ الصديق بشير نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 10/571، وانظر : بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن لاسماعيل منصور ص 23، 133 0

5 () انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 403، وضوابط الرواية عند المحدثين للأستاذ الصديق بشير ص 126 0

6 () انظر : حجية السنة ص 404، وضوابط الرواية عند المحدثين ص 124، 128، ومبحث نوادر الحفظ وعجائب الحفاظ ص 129 0

فكانوا يتذاكرون حديث رسول الله فرادى أو مجتمعين مع اليقظة، وشدة التحرى، وبذل الوسع فى إصابة النص الوارد عن المعصوم وحفظه، عملاً بتوجيهه ، فى الحث على حفظ السنة وتبليغها فى قوله:**"نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه،ورب حامل فقه ليس بفقيه"**[1] وقوله لوفد عبد القيس-بعد أن أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع:**"احفظوه وأخبروا به من وراءكم"**[2]

فعن أنس بن مالك قال : "كنا نكون عند النبى ، وربما كنَّا نحواً من ستين إنساناً فيحدثنا رسول الله ، ثم يقوم فنتراجعه بيننا، هذا، وهذا، وهذا، فنقوم وكأنما قد زرع فى قلوبنا"[3]0

وعن أبى هريرة قال : "إنى لأجزئ الليل ثلاثة أجزاء فثلث أنام وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول الله 0[4] كما كان ابن عباس وزيد بن أرقم يتذاكران السنة[5]، كما تذاكر أبو موسى وعمر بن الخطاب حتى الصبح[6]0

وحفلت مذاكره السنة بتوجيه الرسول وتقريره لها 0

فعن معاوية بن أبى سفيان قال : ... وكنت مع النبى يوماً فدخل المسجد فإذا هو بقوم فى المسجد قعود، فقال النبى : ما يقعدكم؟ قالوا : صلينا الصلاة المكتوبة ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبيه ، فقال : **"إن الله إذا ذكر شيئاً تعاظم ذكره"**[7]0

بل كان يستمع لمذاكرتهم، ويوجههم إلى الدقة فى الحفظ وبذل الطاقة فى إدراك النص وحفظه كما جاء فى **حديث البراء بن عازب** وتعليم النبى له دعاء النوم، فلما سمعه من رسول الله

---

1 () سبق تخريجه ص 273 0
2 () سبق تخريجه ص 274 0
3 () أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه 2/263 رقم 950، والإلماع للقاضى عياض ص 142 0
4 () الدارمى فى سننه المقدمة، باب العمل بالعلم وحسن النية فيه 1/94 رقم 264، والجامع لأخلاق الراوى 2/319، 320 0
5 () مسند أحمد 4/374 0
6 () أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه 2/267 رقم 954 0
7 () أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب العلم، باب إن الله تعالى إذا ذكر شيئاً تعاظم ذكره 1/172 رقم 321 وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى 0

 قال : "فرددتهن لاستذكرهن فقلت آمنت برسولك الذى أرسلت قال قل : **آمنت بنبيك الذى أرسلت"**[1]0

وفى الحث على مذاكرة السنة وحفظها كان الصحابة يحضون، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول : **"تذاكروا الحديث فإنكم إلا تفعلوا يندرس"**[2]**0**

وعن أبى سعيد الخدرى قال : **"تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث"**[3] وروى مثل ذلك عن ابن سعود وابن عباس وغيرهم، وعلى دربهم صار التابعون فمن بعدهم[4]0

الجواب على ما يزعمه بعض غلاة الشيعة بأن لهم فضل السبق فى التدوين :

سبق وأن فصلنا بالأدلة القوية أن السنة النبوية كُتِبت فى عهد النبوة وبإذنه كما أنها كُتِبت فى عهد الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وأصبحت كتابة السنة فى مرحلة مبكرة (فى عصر النبى نفسه) حقيقة لا تقبل الشك ولا ينكرها إلا جاحد، وعلى تلك الكتابات بجوار المحفوظ فى الصدور اعتمد عمر بن عبد العزيز فى التدوين الرسمى للسنة المطهرة فكان له الفضل كل الفضل رغم أنف أعداء السنة المطهرة[5]0

ولم لا يكون له الفضل وقد تحقق على يده ما تنبأ به النبى [6] من تدوين سنته المطهرة فى قوله : **"أى الخلق أعجب إليكم إيماناً؟**

---

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة مواضع منها : كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء 1/426 رقم 247، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع 9/38 رقم 2710 واللفظ له 0

2 () أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب العلم، باب فضيلة مذاكرة الحديث 1/173 رقم 324 0

3 () أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب العلم، باب فضيلة مذاركة الحديث 1/173 رقم 323 0

4 () انظر : دراسات فى الحديث للدكتور الأعظمى 2/330 - 334، وانظر : كشف اللثام للدكتور عبد الموجود 1/72 - 79 0

5 () كإسماعيل منصور الذى وصف تدوين الخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه "كان مخالفاً للمنهاج النبوى الأمثل، ولمنهاج الصحابة الأفاضل، كل المخالفة، وبذلك فقد وقعت به أكبر كارثة فى تاريخ المسلمين"0 انظر تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 232، والرافضى على الشهرستانى يصفه بعدم خلوص النية فى التدوين 0 انظر : منع تدوين الحديث ص 309 0

قالوا الملائكة قال : وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ وذكروا الأنبياء قال : وكيف لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم؟ قالوا فنحن؟ قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن يا رسول الله؟ قال قوم يأتون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بها"[1]0 قال الحافظ السخاوى : استدل بهذا الحديث على الوجادة وهو علم من أعلام النبوة من إخباره عما سيقع، وهو تدوين القرآن وكتبه فى صحفه وكتابة الحديث"[2]0

ويقول الدكتور على السالوس : رداً على دعوى أن الشيعة لهم فضل السبق فى التدوين قال : "والفرق التى ظهرت فى تاريخ الإسلام، ولها عقائد خاصة بها، لم تظهر كتبها إلا بعد استقرار عقائدها، ووضوحها لدى معتنقيها 0 وهذا أمر بديهى، لأن الكتب إنما توضع لتأييد هذه العقائد، والدعوة لها، فلابد أن تسبق العقائد هذه الكتب بل إن هناك مرحلة تلى العقائد وتسبق الكتب، وهى وضع الأخبار وتناقلها والاحتجاج بها قبل أن تجمع فى كتاب، وقبل أن يوضع كتاب مرة واحدة 0

فبالنسبة للشيعة مثلاً : وجدنا بعد موت كل إمام حدوث تفرق جديد، فكانت كل فرقة تحتج بأخبار تؤيد ما انتهت إليه فى تلك المرحلة، إلى أن تصل إلى الإمام الأخير الذى تستقر عنده آراؤها، وما كانت أى فرقة لتضع أخباراً فى إمام إلا بعد ولادته، لأنها لا تعلم الغيب فى واقع الأمر، وإن زعم منها من زعم أنه يعلم مثل هذا العلم"0

ثم أخذ فضيلة الأستاذ الدكتور السالوسى يؤكد كلامه ببعض ما جاء فى كتاب من كتب الشيعة أنفسهم، وهو كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختى، وسعد بن عبد الله القمى، والاثنان عاشا فى القرن الثالث، وأدركا بداية القرن الرابع وبعد أن فصل ذلك قال : "ونلحظ أن كل هذه الفرق أكدت أن الحسن العسكرى لا خلف له ما عدا فرقة مع فرقة الإمامية 0 **ومعنى هذا أن الشيعة الإثنى عشرية لم تبدأ فى وضع الأخبار التى تتصل بالإثنى عشر إماماً إلا بعد الحسن العسكرى، أى فى النصف الثانى من القرن الثالث 0 وبعد هذا تبدأ مرحلة**

---

6 () بل وكان فعله تحقيقاً لما هم به أبيه عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً على مصر، وجده عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين - انظر : السنة قبل التدوين 373 - 375 0

1 () أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين 4/96 رقم 6993 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى بل محمد= =ابن أبى حميد ضعفوه 0 والحديث عزاه الهيثمى إلى البزار بسند حسن فى مجمع الزوائد 10/65، وأشار إلى تصحيحه الحافظ السخاوى فى فتح المغيث 2/140 0وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/41،42 0

2 () فتح المغيث للسخاوى 2/144 0

الكتب 0 والواقع العملى يؤيد ما بينته هنا، فكتب الحديث الأربعة المعتمدة عندهم أولها ظهر فى القرن الرابع، وهو الكافى - الذى يعد عندهم مثل البخارى عندنا - ثم جاء بعده باقى الكتب"[1]0 فأين فضل سبق التدوين الذى يزعمونه كذباً؟!

الجواب على ما يزعمه بعض الرافضة أن أهل السنة وفى مقدمتهم أبى بكر وعمر –رضى الله عنهما- أضاعوا سنة نبيهم

هذا الزعم بهتان عظيم لا يجرؤ على القول به إلا شيعة غلاة ملاحدة ومن قال بقولهم من أعداء الإسلام؛ لأن السنة النبوية من الذكر الذى وعد رب العزة بحفظه فى قوله تعالى : 0[2] وسبق تفصيل ذلك بأدلته من الكتاب، والسنة، والعقل، والتاريخ[3]0

ولو كانت السنة النبوية المطهرة ضائعة غير محفوظة كما يزعم الرافضة ما طالب رب العزة عباده باتباع سنة نبيه

والتحذير من مخالفة أمره، كما قال تعالى : **وقال تعالى :** [4] 0[5]

---

1 () مع الشيعة الإثنى عشرية 3/83-104، وراجع كيفية أخذ الشيعة العلم من أهل البيت، وكيف أن جميع فنونـهم من الكلام والعقائد والتفسير ونحوها مستمدة من كتب غيرهم، وانظر حال رواة كتب الحديث الأربعة عندهم والمملؤة بمن هو فاسد العقيدة، وكذاب بإجماعهم، فى مختصر التحفة الإثنى عشرية للألوسى 66،69 0 وانظر : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية للدكتور= =عمر الفرماوى مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة، وأصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص 47-61 0

2 () الآية 9 من سورة الحجر 0

3 () راجع : ص 198-212 0

4 () الآية 63 من سورة النور 0

5 () الآية 7 من سورة الحشر 0

ثم كيف يصح أن يسند رب العزة إلي نبيه ﷺ مهمة البيان فى قوله تعالى: ﴿ ﴾[1] ثم يضيع هذا البيان؟!!

وكيف يصح أيضاً أن يطالب النبى ﷺ أمته بالتمسك بسنته كما قال ﷺ : "فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ"[2] وقال ﷺ: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله عز وجل وسنتى؟! [3] فلو كانت السنة

---

1 () الآية 44 من سورة النحل 0

2 () سبق تخريجه ص 38 0

3 () سبق تخريجه ص 196 0

المطهرة غير محفوظة أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل والضياع لكان ذلك القول تكذيب لرب الغرة بما أخبر به فى كتابه من الوعد بحفظ سنة نبيه التى أمرنا باتباعها وتحكيمها فى كل شئون حياتنا، وذلك فى عشرات الآيات القرآنية 0

فالقول بضياع السنة النبوية لا يقوله مسلم، ويكذبه الواقع التاريخى الذى يشهد بنقل سنة النبى من قول، أو فعل، أو تقرير حتى الحركات والسكنات، وبالجملة نقلت حياته كلها برمتها فى عباداته ومعاملاته، فى سلمه وحربه، وفى نومه ويقظته، فى أدق الأمور، وفيما نعده من أسرار حياتنا، كمعاشرته، وما يقوله عندما يخرج من بيته، إلى غير ذلك نقلت حياته برمتها وكلياتها وجزئياتها بماذا؟ بأدق طرق النقل الذى لا تعرف له الدنيا مثيلاً، فكان فى ذلك التطبيق، وكان فى ذلك النقل، وكان فى ذلك التدوين إشارة قوية إلى أن الله تكفل بحفظ هذه السنة النبوية بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم فى ضبطها والسهر عليها، وتدوينها، وحفظها، وشرحها وتمييز صحيحها من سقيمها، فنقشوها فى صفحات قلوبهم الأمينة، وفى كتبهم الواعية، فكان تكفله بحفظ كتابه فى قوله تعالى : [1] يشمل السنة النبوية حيث قيض الله لها من ثقات الحفظة من الرواة الثقات العدول، والأئمة الأعلام ما قيض لكتابه العزيز من ثقات الحفظة فى كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها[2]0

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى فى المسألة الثانية عشرة : (هذه الشريعة معصومة من الضياع والتبديل إلى أن تقوم الساعة) بعد أن تحدث عن حفظ القرآن الكريم وقال فيه "أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلاً عن القراء الأكابر" **قال عن حفظ السنة النبوية** : "ثم قيض الحق سبحانه رجالاً يبحثون عن الصحيح من حديث رسول الله ، وعن أهل الثقة والعدالة من النقلة، حتى ميزوا بين الصحيح والسقيم، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعاوى فى الأخذ لفلان عن فلان، حتى استقر الثابت المعمول به من أحاديث رسول الله [3] فى بطون كتب السنة الموجودة بين أيدينا الآن، ولم يفقد منها شئ 0 **يقول الإمام الشافعى**

---

1 () الآية 9 من سورة الحجر 0

2 () مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة (بحث للشيخ عز الدين الخطيب، وتعقيب فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم 2/558 - 560، 602 بتصرف وتقديم وتأخير 0

3 () الموافقات للشاطبى 2/368 - 371، وراجع من نفس المصدر 1/32، 70 0 مقابلة بما سبق فى الرد على شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها ص 198-212 0

-رحمه الله- : "لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شئ فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ... وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها : دليلاً على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه، حتى يأتى على جميع سنن رسول الله ، بأبى هو وأمى،فيتفرد جملة العلماء بجمعها وهم درجات فيما وعوا منها"[1]0

يقول الأستاذ أحمد شاكر -رحمه الله- معقباً على كلام الإمام الشافعى : "هذا الذى قاله الشافعى فى شأن السنن : نظر بعيد، وتحقيق دقيق، واطلاع واسع على ما جمع الشيوخ والعلماء من السنن فى عصره، وفيما قبل عصره 0 ولم تكن دواوين السنة جمعت إذ ذاك، إلا قليلاً مما جمع الشيوخ مما رووا 0 ثم اشتغل العلماء الحفاظ بجمع السنن فى كتب كبار وصغار، فصنف أحمد بن حنبل -تلميذ الشافعى- مسنده الكبير المعروف، وقال يصفه : "إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا إليه، فإن كان فيه، وإلا فليس بحجة 0 ومع ذلك فقد فاته شئ كثير من صحيح الحديث، وفى الصحيحين أحاديث ليست فى المسند 0

وَجَمَعَ العلماء الحفاظ الكتب الستة، وفيها كثير مما ليس فى المسند، ومجموعها مع المسند يحيط بأكثر السنة،ولا يستوعبها كلها 0 ولكننا إذا جمعنا ما فيها من الأحاديث مع الأحاديث التى فى الكتب الأخرى المشهورة، كمستدرك الحاكم، والسنن الكبرى للبيهقى، والمنتقى لابن الجارود، وسنن الدارمى، ومعاجم الطبرانى الثلاثة، ومسندى أبى يعلى،والبزار: إذا جمعنا الأحاديث التى فى هذه الكتب استوعبنا السنن كلها إن شاء الله، وغلب على الظن أن لم يذهب علينا شئ منها، بل نكاد نقطع به 0 وهذا معنى قول الشافعى : "فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن"0 وقوله "فيتفرد جملة العلماء بجمعها" وكان الشافعى قد قاله نظراً، قبل أن يتحقق بالتأليف عملاً، لله دره[2]0 أ 0هـ 0

وبعـــد

فهذه سنة النبى مستقره فى بطون الكتب المعتمدة من علماء الأمة الثقات مميزاً صحيحها من ضعيفها فمنها :

---

1 () الرسالة للشافعى ص 42، 43 رقم الفقرات 139، 140، 141 0

2 () هامش الرسالة للشافعى ص 43، 44 0

ما هو معلوم الصحة كالصحيحين (للبخارى والمسلم)، والموطأ والمستخرجات، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح أبى عوانة، والصحاح لابن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمختارة لضياء المقدسى، ومستدرك الحاكم على ما فيه من تعقبات[1]0

ومنها ما جمع بين الصحيح، والحسن، والضعيف وهو منبه عليه فى كتبهم أو مميزاً محكوم عليه فى تخريجاتهم، وذلك ككتب السنن وعلى رأسها السنن الأربعة : وهى سنن أبى داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجة، وكذا سنن الدارمى، والدراقطنى وسنن سعيد بن منصور، والسنن الكبرى للبيهقى، وغيرها الكثير[2]، هذا فضلاً عن كتب المسانيد، ومن أشهرها وأجمعها مسند الإمام أحمد، ومسند أبى يعلى الموصلى، ومسند أبى داود الطيالسى وغيرهم الكثير[3]0 وكذا كتب المصنفات كمصنف عبد الرازق، ومصنف ابن أبى شيبة[4]، وكتب المعاجم ومن أشهرها معاجم الطبرانى الثلاثة (الصغير، والكبير، والأوسط) [5]0

وهذه الكتب الحديثية وغيرها الكثير تتحدى فى طرق جمعها وتدوينها وصحتها طرق أهل الكتاب فى جمع وتدوين عهدهم القديم والجديد[6]0

وتتحدى طرق الشيعة الرافضة الممتلئة كتبهم وعلى رأسها أصولهم الأربعة (الكافى) و (من لا يحضره الفقيه) و (التهذيب) و(الاستبصار) بالكذابين والملاحدة، والشعوبيين، وفاسدى العقيدة، والمذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص (ورغم هذا يصرح علماؤهم بأن كل ما فى هذه الأربعة صحيح واجب العمل به[7]،وسبب ذلك أن دينهم من أصله فاسد، وهل يثمر الفاسد إلا الفساد؟[8]أ 0هـ 0

والله تبــارك وتعالــى
أعلـى وأعلـم

---

1 () الرسالة المستطرفة ص 20 وما بعدها 0
2 () المصدر السابق 37 0
3 () المصدر نفسه 62 0
4 () الرسالة المستطرفة ص 40 0
5 () المصدر السابق ص 135 0
6 () راجع:منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل للدكتورة عزية على طه ص 460-550 حيث عقدت مقارنة بين السير الذاتية لأصحاب الكتب الستة وبين سير أصحاب أسفار العهد الجديد، وبين شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث، وتطبيق هذه الشروط على أسفار العهد الجديد 0
7 () انظر : أصول الحديث للدكتور عبد الهادى الفضلى ص 210-219 0
8 () انظر:مختصر التحفة الإثنى عشرية ص 69 0 ومقدمة محقق الكتاب الأستاذ محب الدين الخطيب 0